تاريخ الإرسال: 2014/02/04 - تاريخ القبول للنشر: 3014/04/30 تاريخ النشر: 2014/07/06

منطقة الجلفة من خلال المجلة الإفريقية

د/عبدالقادر نايلي
أستاذ محاضر. جامعة الجلفة

مقدمة:

لقد كتب الفرنسيون الكثير عن الجزائر وتناولوا تقريبا كل فروع المعرفة، وتوصلوا إلى جمع آثار ومخطوطات ووثائق كثيرة عن الجزائر وحفظوها في المتاحف والمكتبات والأرشيفات، وأنشأوا الجمعيات العلمية، وعقدوا اللقاءات والمؤتمرات التي يبرزون من خلالها اكتشافاتهم ويتبادلون الخبرات والمعلومات ويوثقون الصلات فيما بينهم. بالإضافة إلى ذلك أسسوا الصحف والدوريات التي كانت تنشر ما توصلوا إليه من نتائج وما جمعوه من مواد، ومثال ذلك "الجمعية التاريخية الجزائرية[1]" التي أنشأت ***المجلة الإفريقية***[2] لنشر أعمالها وتدوين نشاطاتها المختلفة، وكانت الإدارة العامة للجزائر تمدهم بالمال وتوفر لهم إمكانيات التنقل والاتصال والاطلاع، وتساهم في تجمعاتهم وفي جمعياتهم وفي طبع إنتاجهم. كما كانت الجامعات والمعاهد الفرنسية في فرنسا تساهم هي الأخرى بإمكانياتها البشرية والعلمية والمعنوية في دفع عجلة البحث الذي يقوم به الفرنسيون بالجزائر، وكانت الحكومة الفرنسية أيضا تغطي نشاطهم وتفتح أمامهم مجالات العمل وتشجع على ذلك، لأنها في الواقع هي المستفيدة في نهاية المطاف.

لم يكن هؤلاء الكتاب والباحثون مؤرخون بالمعنى الاختصاصي، حيث كان معظمهم من الهواة، ومن كتاب الثقافة العامة والانطباعات والمذكرات والتقارير الرسمية، وأنهم في الفترة الأولى كانوا ضباطا عسكريين يجمعون بحماس شديد كل ما تقع عليه أيديهم من مصادر مكتوبة أو شفوية، ومن آثار قديمة وحديثة، وهدفهم من ذلك الوصول إلى فهم السكان الذين يحكمونهم.

وتذكر الكتابات أن بيربروجر[3] (Berbrugger) رئيس تحرير المجلة الإفريقية كان يتبع الجيش حيثما توجه، وعندما تحتل مدينة يأخذ هو المخطوطات العربية التي يستحوذ عليها من الزوايا والجوامع والمكتبات الخاصة ويعود بها إلى العاصمة، واستعمل غيره من الباحثين الفرنسيين، للحصول على هذه المصادر، كل الوسائل الإغرائية وغيرها[4]...

وهكذا توفرت للباحثين الفرنسيين مصادر أهلية استفادوا منها كثيرا، و كان هدف هؤلاء هو مساعدة الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لكي تسيطر على مقاليد الجزائريين وبالطبع الدعاية للثقافة والوجود الفرنسي بين الجزائريين من جهة وبين الأجانب من جهة أخرى.

منطقة الجلفة من خلال المجلة الإفريقية:

وفيما يخص ما تضمنته هذه المجلة حول منطقة الجلفة فنجد أن أعدادا كثيرة منها تناولت تاريخ المنطقة عبر مختلف العصور من خلال البقايا الأثرية للمنطقة وما جمعوه من كتب ومخطوطات وما تناقلته الروايات الشفوية...

وعلى سبيل المثال فالدكتور روبو[5] Dr Reboud في الأعداد 1-2-3 الصادرة في الفترة (1856-1858) قد نشرت له المجلة مقالات تعرضت في مجملها للمواقع الأثرية التي تزخر بها المنطقة والمنتشرة عبر جهات كل من زكار وعين الناقة ومسعد (دمد)[6] وعمورة... وغيرها حيث لازال الكثير منها يحتفظ بهذه المواقع الأثرية الجديرة بالدراسة والعناية والحماية من قبل الهيئات المعنية بحكم أنها تمثل رصيدا تاريخيا للمنطقة...

كما كان اهتمام الفرنسيين كبير بمكونات المجتمع والسلالات البشرية التي ينحدرون منها وتوزيعهم عبر مختلف أقاليم المنطقة، وطبيعة نشاطهم الاقتصادي إضافة إلى عادات وتقاليد ونظم عيش هذه المجتمعات الصغيرة المتكونة في شكل قبائل، وكيفية مجابهتم للاستعمار بعد أن بدأ يزحف لبسط نفوذه على المنطقة ، ونلمس ذلك من خلال ما ورد في الأعداد التالية 6-7 تحت عنوان:

استكشاف جبل بوكحيل Exploration du Djbel Bouk-hil

وقد نقلها سانت آرنو[7] St Arnaud مفصلة من خلال ما عاينه وصادفه أثناء تحركات الجيش الفرنسي بغرض بسط نفوذه على كامل المنطقة...

أو ما تضمنته الأعداد 8- 10- 16 و17 في شكل مذكرات لنفس الشخص تحت عنوان:

Notices sur les Sahari, les Ouled ben Alia, et sur l'origine des tribus Cheurfa.

وكلها تتعرض لأصول هذه القبائل وفروعها ومناطق انتشارها عبر إقليم الجلفة، والعلاقات القائمة بينها، وكذا طريقة عيشها وأسلوب حياتها، إضافة إلى مختلف العادات والتقاليد التي تتميز بها...الخ

أما الأعداد 20 -21- 23 و 24 فقد ورد فيها تحت عنوان:

Notes Pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864.

... وإن كان الأمر يتعلق هنا بانتفاضة الجنوب الجزائري وبالأخص مقاومة أولاد سيدي الشيخ، إلا أننا نجد في ثنايا ما ذكره الجنرال تريملي[8] Trumelet وما نقله من أخبار حول تحركات الجيش الفرنسي نحو المناطق الجنوبية، إشارات تدل على تذمر ومجابهة اهالي منطقة الجلفة لهذا الزحف الرافضين للاحتلال... وكذا الصعوبات التي واجهته من أجل فرض سيطرته عليهم بالقوة، هذا إلى جانب ذكر مشاركة بعض أفراد من أولاد نايل في المقاومات التي استهدفت (الأغواط، والبيض... وغيرها)، بعد أن أصبحت منطقة الجلفة تحت السيطرة الكاملة...

أما في المقال الذي نُشر للجنرال فيرو[9] Feraud في العدد 21 بعنوان :

الشرفة في المغرب Les Chorfa du Maroc

فقد تطرق لذكر أصول أولاد نايل، وخصّ بالذكر الشيخ سيدي نايل[10] (محمد بن عبدالله) مشيرا إلى نشأته وتعليمه متتبعا كل تحركاته من المغرب الى الجزائر حيث استقر به المقام... وكذا انتشار أبناءه وأحفاده عبر ربوع الجهات الداخلية للوطن، ليُكوّنوا بذلك قبائل اولاد نايل الحالية...هذا الى جانب طبيعة عيشهم وعلاقاتهم بالقبائل المجاورة ...الخ

وضمن العدد 29 ، نجد مقال لهارتماير[11] Hartmayer بعنوان:

ملاحظات (أو مدونات) حول دائرة الجلفة Notices sur le cercle de Djelfa

وتدور في مجملها حول ما عاينه في المنطقة من آثار لبقايا الحضارات القديمة في المواقع المذكورة سابقا، وجاء في شكل اشعارات بمدى أهمية هذا الاكتشاف الذي يدلهم على الانتشار الواسع الذي بلغه الرومان في المنطقة... وأريد أن أنبه- بالمناسبة- أن هذا الاهتمام الكبير بالمواقع الأثرية جاء ليكرس فكرة أحقيتهم في احتلال الجزائر بحكم انها تنتمي إليهم تاريخيا، واعتبار الفتح العرب الاسلامي دخيلا على المنطقة، ومحاولة إيهام البربر (السكان الأصلين للجزائر) بأنهم إخوانهم في العرق والدين. ويدخل هذا في إطار سياسة " فرق تسد" لإحداث فتنة بين الأهالي تمكنهم، في النهاية، من احكام سيطرتهم على البلاد دون عناء...

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الموروث الثقافي – المتمثل في أعمال المؤرخين الفرنسيين بالجزائر – برغم ما يتضمنه من سلبيات، لا يخلو من إيجابيات نوجزها فيما يلي:

- جمعهم للمصادر والآثار وحفظها في المكتبات والمتاحف والسهر عليها والاستفادة منها.
- نشر كثير من الآثار العربية الإسلامية بلغتهم، وأحيانا بنصها الأصلي، وبذلك ساعدوا على بقاءها ومكنوا الباحثين منها.
- استخدام التقنية الحديثة في البحث كتصنيف المواد حسب الاختصاص، وتنظيم الفهارس، والتنظيم الأبجدي، وما إلى ذلك.
- استعمال وسائل البحث وتشجيع الباحثين، وتبادل الخبرات عن طريق نشر الدوريات، وعقد الملتقيات، وتبادل الزيارات وتوفير المادة الضرورية لجمع المعلومات ونشره.
- نقد المصادر والوقوف منها موقف الشك، ولو أنهم طبقوها خصوصا على المصادر العربية_ الإسلامية.

أما النواحي السلبية فيمكن حصرها في النقاط التالية:

- إهمالهم للشعب الجزائري في تناولهم لتاريخ الجزائر، حيث تناولوها كمنطقة جغرافية من العالم تداولت عليها الدول والشعوب، وليس في نظرهم "شعب" أو "أمة" أو "كيان" أو "مجتمع متماسك" ولا تخضعها إلا القوى الكبرى كالرومان، والأتراك، والفرنسيين.
- مجاراة المؤرخين، عسكريين واختصاصيين للسلطة، لا سيما الإدارة الاستعمارية، هذه التبعية أعمتهم عن الحقيقة وجعلت أعمالهم التاريخية تفقد روح البحث المجرد، وأصبحت تتميز "بالطابع الرسمي" الضيق.
- التركيز على التاريخ الاقتصادي والإداري والعسكري جريا وراء الاستعمار والإدارة (عسكرية ومدنية) وتحركات الجيش وقواده، فإذا ما تناولوا قضية دينية أو قبلية أو نحو ذلك فإنما هو من اجل محاولة السيطرة على أصحابها.
- التركيز على بعض الجوانب لبعض الفترات وإهمال الباقي، كاهتمامهم بتاريخ الرومان في الجزائر وتاريخ المسيحية فيها، وكذا بالتاريخ البيزنطي، أما تاريخ العرب والمسلمين، تاريخ العهد الذي تحرر فيه السكان من القيود الأجنبية وأصبحوا فيه أحرارا يؤسسون إماراتهم ويديرون شؤونهم بأنفسهم، فقد اهملوه (بدعوى الغموض)، وكذلك

فعلوا مع العهد العثماني في الجزائر، وهو العهد الذي قويت فيه شوكة الجزائر وتوحدت فيه جغرافيا وسياسيا وتمركزت إدارتها.

- التحيز في نقل الوقائع، حيث تؤكد المصادر الفرنسية دائما على التفوق والانتصار في جميع الأحوال بالنسبة للجيش الفرنسي، في حين تحاول تقزيم المقاومة ورجالها الذين أعطوا العدو دروسا لا تنسى وهذا بشهادة الكثير منهم. ومما يحز في النفس تلك الجرائم المقترفة في حق الأبرياء والتباهي بتلك الأعمال الشنيعة، حيث أصبح في نظر الفرنسيين أن كل الأساليب مسموحة ما دام الأمر يتعلق بتحقيق الغاية، وهي القضاء على المقاومة واحتلال البلاد.

وفي الأخير أُوضّح بأنني لا أُنكر كل قيمة للأعمال التي أنجزها هؤلاء، فالشيء الذي توخيناه من وراء الإشارة إلى هذه السلبيات هو لفت الانتباه والتأكيد على ضرورة التعامل مع مثل هذه المصادر بحذر، وان تكون للباحث الروح النقدية التي يمكن من خلالها أن يميز بين الخبيث والطيب.

وبهذه الملاحظات أستطيع القول أن هذا الموروث الثقافي المتنوع ترك لنا رصيدا لا يستهان به من الدراسات والأبحاث حول الاستيطان الأوروبي في البلاد وعن الاحتلال ومراحله وسياسته وتطور مؤسساته، وهذا في حد ذاته يشكل مساهمة معتبرة في إثراء المعرفة التاريخية خلال فترة الاحتلال هاته، ونضيف إلى هذه الإنجازات، الكمية الهائلة للمادة الوثائقية المحفوظة التي هيأتها وجعلتها في متناول الباحثين، والدليل على ذلك فإننا لا نكاد نجد مرجعا تاريخيا_ يخص تاريخ الجزائر في فترة الاحتلال خاصة_ يخلو من ذكرها والاستعانة بها[12].

الإحالات والهوامش:

1- مرت بمراحل عديدة من المحاولات لإنشائها بأسماء مختلفة قبل أن يستقر بها المطاف في عهد الوالي العام راندون Randon تحت اسم "***الجمعية التاريخية الجزائرية***" حيث أقرها نهائيا بهذا الاسم وقدم لها المساعدات اللازمة. للمزيد،

أنظر، **الزبير سيف الإسلام**: *تاريخ الصحافة في الجزائر*، ج:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .1982

2- أنشأها الفرنسيون، وتم صدورها في الجزائر منذ منتصف القرن 19م، وخصصت جزءا كبيرا من مواضيعها واهتماماتها لنشر وقائع المقاومات الشعبية بأقلام فرنسية، وقد سُجلت وقائعها من وجهة نظر معينة لخدمة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، في إطار التأريخ لأعمال الجيش الفرنسي وتاريخ فرنسا الذي دعوه بعد ذلك بتاريخ فرنسا المحلي...للمزيد عد إلى، **عبد القادر نايلي**، *المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية*، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2013، ص ص: 10-25.

3- **بيربروجر**(أدريان) (Berbrugger(Adrien (1801 - 1869): قدم إلى الجزائر برفقة لمارشال كلوزال، وكان يمثل السكرتير الخاص به. وقد كلف برئاسة تحرير جريدة الممرن الجزائري Moniteur Algérien . وأولى اهتماما كبيرا لدراسة تاريخ المنطقة. اشتغل مفتشا عاما للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية للجزائر، فمحافظا لمكتبة ومتحف الجزائر، ثم اختير رئيسا للجمعية التاريخية الجزائرية الذي كان أحد مؤسسيها سنة 1856، وأشرف على تحرير المجلة الإفريقية، إلى أن وافته المنية.أنظر عنه أكثر، **Revue Africaine**, T:13, année (1869), OPU, Alger1980,p.321

4- **عبد القادر نايلي**، المرجع السابق، ص .148

*5-**Dr*** Victor-Constant ***Reboud** : (**1821-189**),* Élève au petit séminaire du Roudeau, près de Grenoble. Il participe comme médecin et pharmacien aux expéditions scientifiques, en Algérie surtout, de 1853 à 1883. Ses itinéraires ont été relatés par E.Cosson (1881: 79-85). Il s'est retiré dans sa famille à Saint-Marcellin en Isère en 1883. Il s'éteint en 1889. Le genre de Crucifères Reboudia Cosson & Durieu lui est dédié. Son neveu Joseph-Arsène fi t, également comme médecin, des explorations en Algérie. Les plantes présentes dans l'herbier Fabre ont été récoltées en 1875 et 1876…Voir, le site suivant :

http://www.tela-botanica.org/page:herbiers_carto?module=FichePersonne&id=101738

6- موقع "**كاستيلوم ديميدي**: الكثير أشار إلى انه بني في 198 ق م و الأصح 198 بعد الميلاد في فترة حكم الملك الروماني ذو الاصول الافريقية سبتيموس سيفيروس (septime sévère) ، لأن الرومان لم يتوغلوا في شمال إفريقيا الا بعد مقتل بطليموس ابن يوبا الثاني اي 40 سنة بعد الميلاد، هذا الموقع مهم جدا بالنسبة لتاريخ الجزائر في العهد الروماني، و مشهور جدا عند المؤرخين المختصين، وهناك خطا كبير في تحديد هذا الموقع حيث يعتقد الكثير انه تلك الآثار الموجودة في "قعدة دمد" مع ان ذلك الموقع وجدت به بعض المقتنيات ذات الأصل الروماني إلا انه ليس هو الموقع الذي اجرى فيه العالم جيلبار شارل بيكار Gilbert) (Charles picard حفرياته من سنة 1939 الى غاية 1941م... وذكر الحصن لأول مرة من طرف الطبيب ربود (Dr Reboud) سنة 1856م و كان يعرف آنذاك بقصر البارود لان السكان كانوا يستخرجون منه ملح البارود عبر حفر عميقة موجودة به ... ويدخل هذا الحصن ضمن منظومة دفاعية وضعها الرومان لحماية حدودهم من قبائل "الجيتول" في الجنوب، تدعى هذه المنظومة بخط "الليمس الموريطاني"، الغرض منها مراقبة قبائل الجيتول و مشارف الصحراء من أي تقدم للقبائل البدوية ضد الضيعات (المزارع) الرومانية في الشمال... للإطلاع أكثر عد إلى الرابط التالي:

https://ar-ar.facebook.com/ahbabdjelfa/posts/422760827829232

7-**St Armand**: Armand Jacques Achille Leroy de Saint-Arnaud, né à Paris le20 août 1798 et mort en mer Noire le 29 septembre 1854, est un officier militaire français, maréchal de France…Sa carrière militaire commence véritablement lors de la colonisation de l'Algérie, comme capitaine de Légion étrangère. En 1837, nouvellement promu capitaine, il se distingue au siège de Constantine et reçoit la croix de la Légion d'honneur. En 1840, l'année où il est autorisé par ordonnance royale à s'appeler Leroy de Saint-Arnaud, le général Schramm indique : « officier ardent et brave militaire ; s'est distingué plusieurs fois, digne d'avancement ». En 1841, nommé chef de bataillon, il commande le 1er régiment de Zouaves et en 1842 lieutenant-colonel du 53e régiment d'infanterie légère. Il est promu général de division après l'expédition de Petite Kabylie en 1851…Il s'«illustre » dans les campagnes d'Algérie avec les généraux « africains » Cavaignac et Pelissier. Bugeaud, un des chefs de l'armée française, créa une prime à la tête coupée. Saint-Arnaud décrit son quotidien : « On ravage, on brûle, on pille, on détruit les moissons et les arbres. » Les mots de Saint-Arnaud dans ses lettres sont directs. Il se plaint même parfois du manque de combats. Il trouve que « l'Afrique perd de sa poésie » quand il pratique le massacre en grand par « l'enfumade », méthode consistant à asphyxier des centaines de personnes réfugiées dans des cavernes…Pour plus d'information, voir Le site internet suivant :

http://fr.wikipedia.org/wiki/Armand_Jacques_Leroy_de_Saint-Arnaud

8-**Trumelet** : Corneille Trumelet, né à Reims le 11 mai 1817 et mort à Valence en juillet 1892, est un officier colonial et historien militaire français…Engagé dans l'infanterie légère en 1839, officier en 1848, il sert en Algérie de 1851 à 1875, notamment dans les Tirailleurs algériens. Il achève sa carrière au commandement du 1er régiment de cette arme Lors de son départ à la retraite, il se fixe d'abord

à Boufarik avant de rentrer en métropole… Membre de la Société historique algérienne, le colonel Corneille Trumelet est l'auteur de plusieurs ouvrages sur l'histoire militaire de la France en Algérie, dont certains publiés sous le pseudonyme C. T. de Fallon.Il était Commandeur de la Légion d'honneur et Officier de l'Instruction Publique.

Son nom fut donné à une ville de l'Oranie jusqu'en 1962…Voir pour plus d'informations le site suivant : http://encyclopedie-afn.org/TRUMELET_Corneille

9- **فيرو** (Feraud(Ch: من مواليد نيس بفرنسا في 1729/02/5، دخل إلى الجزائر سنة 1845 ليشغل وظيفة بسيطة بالإدارة المدنية بشرشال، وقد تعلم اللغة العربية، مما أهله لأن يصبح مترجما بالجيش الإفريقي، وقد صاحب جيش الاحتلال حيثما حل، فكان الى جانب الجنرال سانت آرنو Saint Arnaud والجنرال ماك ماهون Mac-Mahon الضابط المسئول عن قسنطينة وهناك أنجز معظم أعماله العلمية والتاريخية والأثرية، وقد ترك مجموعة من الأعمال القيمة، لا غنى عنها لكل باحث في التاريخ الجزائري، كما تولى عدة وظائف منها رئاسته للجمعية التاريخية الجزائرية... توفي في 1888/12/19برتبة وزير بطنجة ممثلا لمصالح فرنسا في هذه المدينة... للاطلاع أكثر، أنظر، **محمد الأمين بلغيث**، " فيرو صاحب المهمات الصعبة"، (مجلة المصادر)، العدد2، نوفمبر 1999، ص ص.170-171.

10- للاطلاع أكثر على حياة و نسب الشيخ سيدي نايل وأبناؤه، أنظر، **محمد بن عبد الرحمان الديسي**، *تحفة الأفاضل في نسب سيدي نايل*، شرح وتعليق الأستاذ عبد الكريم قذيفة. أو كتاب الشيخ الإمام الفقيه **عامر محفوظي**، *تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل*.

11- **Hartmayer** Jacob): est né le 11/1/1834 à Valence. Fils d'un épicier de la ville, il s'engage au 12e régiment léger en 1852…Sous-lieutenant le13/8/1863,

Lieutenant en 1870, capitaine en 1873, il appartient aux bureaux arabes de 1864à 1883, sans autre interruption que d'octobre 1870 à mai 1871, temps pendant lequel il se bat contre l'Allemagne.

Durant la guerre de 1870, il rejoint la France après Sedan comme lieutenant au 2e régiment de zouaves de marche affecté à l'armée de la Loire. Commandant la 5e compagnie du 1er bataillon, il est blessé le 4/12/1870 lors de la bataille d'Arthenay…Il a laissé un grand souvenir comme organisateur de bureaux arabes. Il a été adjoint à Orléansville, à Ténés, à Miliana, à Aumale, à Béni Mansour, à Médéa, à Djelfa, à Boghar et à Médéa (1871-1883) où il dirige le bureau subdivisionnaire. Il est l'auteur d'une petite brochure "de la vulgarisation de la langue française chez les Arabes"..En dépit de cette carrière reconnue, il est resté simple capitaine et chevalier de la légion d'honneur, reçue en mars 1871…Retraité en 1884, il se retire à Alger. Promu plus tard vice consul de France à Gafsa, il est mort le 18/1/1917. Voir le site:

http://www.military-photos.com/affind.htm

12- **عبد القادر نايلي**، المرجع السابق،